المؤتمر العلمي الدولي الثالث للعلوم الإنسانية والاجتماعية والتحديات المعرفية
جامعة فردوسي مشهد 2025 CHARMO

قواعد التفسير بين المفهوم والوظيفة

أ.م. علي محمد علي شفيق[1]

١. جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية[1]

الملخص

تظهر الحاجة للبحث في اصطلاح العلوم وإفرادها بالتنظير؛ وذلك لإفادة حسن التصور والبناء عليه، وهذا انطلاقاً من النظر المقصدي الذي يتميز به الفكر الإسلامي، وحيث إن الفهم التام لخطاب الشرع وضمائمه لا يتم إلا بفهم مصطلحاته، ومنه يتحصل الامتثال في أسمى صوره لخطاب الشرع من دون تكلف ولا اضطراب، وقواعد التفسير بأمس الحاجة إلى هذا النهج؛ لأن كثيراً من الخلاف حول مفهومها؛ لقلة النظر في المصطلح المستعمل، لذا كان لزاماً علينا معرفة المراد بقواعد التفسير. يحتوي هذا البحث على مقدمات يحتاجها كلّ من أراد أن يلج باب علم قواعد التفسير، بغية فهم النّص القرآني، بل فهم النّص بصورة عامة.

الكلمات الدليلية: قواعد التفسير، المفهوم، الوظيفة.

١. المقدمة

القرآن الكريم هو كلام الله المعجز، وهدايته الخالدة للبشرية جمعاء. وقد أولى المسلمون عبر العصور عناية فائقة بفهم هذا الكتاب الكريم وتدبر معانيه واستنباط أحكامه. ولما كان فهم كلام الله على الوجه الصحيح أمرًا بالغ الأهمية، فقد وضع العلماء قواعد وأصولًا يُهتدى بها في تفسير القرآن الكريم، تُعرف بـ "قواعد التفسير." تُعتبر "قواعد التفسير" من أهم الأدوات التي يعتمد عليها المفسر في فهم كلام الله تعالى.

يهدف هذا البحث إلى دراسة "قواعد التفسير" بين المفهوم والوظيفة، حيث سنسعى إلى توضيح مفهوم هذه القواعد وبيان أهميتها وأنواعها ومصادرها، بالإضافة إلى الكشف عن وظائفها في عملية التفسير. ونسعى من خلال هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١.تحديد مفهوم قواعد التفسير :وذلك من خلال تعريفها لغة واصطلاحًا، وبيان الفرق بينها وبين المصطلحات ذات الصلة، كأصول التفسير ومصادر التفسير وقواعد الترجيح.

[1]. Email: ali.mohamed@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

٢.بيان أهمية قواعد التفسير :وذلك من خلال إبراز دورها في فهم كلام الله على الوجه الصحيح، وحماية النص القرآني من التحريف والتأويل الباطل، وتمكين المفسر من الترجيح بين الأقوال المختلفة.

٣.تصنيف أنواع قواعد التفسير :وذلك من خلال تقسيمها إلى أنواع مختلفة، كالقواعد اللغوية، والقواعد الأصولية، والقواعد التاريخية، والقواعد السياقية.

٤تحديد مصادر قواعد التفسير :وذلك من خلال بيان المصادر التي يستمد منها العلماء هذه القواعد، كاللغة العربية، والسنة النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين، وقواعد اللغة العربية، وأصول الفقه.

٥.الكشف عن وظائف قواعد التفسير :وذلك من خلال بيان دورها في بيان معاني القرآن الكريم، وتوضيح مراد الله تعالى، واستنباط الأحكام الشرعية، وحل الإشكالات والتناقضات الظاهرية.

ولتحقيق هذه الأهداف، سيعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال الرجوع إلى المصادر الأصلية في علوم القرآن والتفسير وأصول الفقه واللغة العربية، وتحليل آراء العلماء والمفسرين في هذا المجال.

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لعباده.

١. ١.خلفية البحث

تُعتبر كتب أصول الفقه مصدرًا مُهمًا لقواعد التفسير، حيث تتناول مباحث دلالات الألفاظ وأنواعها، وقواعد العموم والخصوص والإطلاق والتقييد، وغيرها من المباحث التي تُفيد في فهم كلام الله تعالى.سنتذكر هنا بعض المصادر المهمة التى تم الاستعانة بها في كتابة هذه الدراسة منها:

١. قواعد التفسير جمعًا ودراسة لخالد السبت :يُعتبر من الدراسات المعاصرة المهمة التي جمعت ودَرَست قواعد التفسير بشكل مُفصّل.

٢. نظرات في قواعد تفسير القرآن الكريم – الرابطة المحمدية للعلماء :مقال مُهم يُمكن الرجوع إليه عبر الرابط الذي تم تقديمه سابقًا.

٣. قواعد وضوابط لتفسير القرآن الكريم – إسلام ويب :فتوى مُفيدة تُقدّم بعض القواعد والضوابط الأساسية في التفسير، ويُمكن الوصول إليها عبر الرابط الذي تم تقديمه سابقًا.

٤. قواعد التفسير – ويكيبيديا :تُقدّم هذه الصفحة تعريفًا مُختصرًا لقواعد التفسير مع بعض الأمثلة، ويُمكن الرجوع إليها عبر الرابط الذي تم تقديمه سابقًا.

٥. مقدمة في قواعد التفسير التعريف: القاعدة لغةً – د. محمد بن عبدالعزيز الخضيري :مقال يُقدّم تعريفًا لغويًا واصطلاحيًا لقواعد التفسير، ويُمكن الرجوع إليه عبر الرابط الذي تم تقديمه سابقًا.

١. ٢. أسئلة البحث

١. ما الفرق بين قواعد التفسير ومصطلحات أخرى ذات صلة، مثل أصول التفسير، مصادر التفسير، مناهج التفسير، وقواعد الترجيح؟

٢. ما هي أهمية تحديد مفهوم دقيق لقواعد التفسير؟

٣. ما هي أهم أنواع قواعد التفسير؟ وما هي المعايير التي يتم بناءً عليها تصنيف هذه القواعد؟

٤. ما هي الوظائف الأساسية لقواعد التفسير في عملية فهم النص القرآني؟

٥. كيف تُساهم قواعد التفسير في ضبط عملية التفسير وحمايتها من التأويل الباطل؟

٦. ما دور قواعد التفسير في الترجيح بين الأقوال التفسيرية المختلفة؟

١. ٣. فرضيات البحث

١. تُعتبر قواعد التفسير بمثابة ضوابط منهجية تُعين المفسر على فهم النص القرآني فهمًا صحيحًا وموضوعيًا، وتُجنّبه الوقوع في التأويلات الباطلة .

٢. تتنوع قواعد التفسير بتنوع جوانب النص القرآني، وتشمل قواعد لغوية وأصولية وسياقية وتاريخية وعقدية، وتتكامل هذه الأنواع فيما بينها لتقديم فهم شامل للقرآن الكريم .

٣. تستمد قواعد التفسير حجيتها من مصادر مُعتبرة في الشريعة الإسلامية، كاللغة العربية، والسنة النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين، وقواعد أصول الفقه، وتُساهم هذه المصادر في بناء قواعد تفسيرية مُحكمة .

٤. تُؤدي قواعد التفسير وظائف مُتعددة في عملية التفسير، من أهمها: توضيح معاني القرآن الكريم، وضبط عملية الاستنباط، والترجيح بين الأقوال التفسيرية، وحماية النص القرآني من التحريف والتأويل.

١. ٤. الإطار النظري للبحث

في الفصل الأول، تمهيد البحث ووضع أساسه، حيث اشتمل على مقدمة شاملة تُعرّف بموضوع البحث وأهميته، وخلفية تاريخية تُوضّح تطور الاهتمام بقواعد التفسير عبر العصور، بالإضافة إلى صياغة دقيقة لأسئلة البحث التي يسعى هذا العمل للإجابة عنها، ووضع فرضيات مُحكمة تُشكّل منطلقات نظرية للدراسة.

أما الفصل الثاني، فقد خُصّص لتناول مفهوم "قواعد التفسير" بتفصيل وافٍ، حيث تم تقسيمه إلى الأقسام التالية:

القسم الأول: تعريف القاعدة لغة واصطلاحًا: تم فيه بيان معنى "القاعدة" في اللغة، واستعمالاتها المختلفة، ثم تعريفها اصطلاحًا في سياق العلوم الشرعية عمومًا، وعلم التفسير خصوصًا.

القسم الثاني: تعريف التفسير: تم فيه التركيز على مفهوم "التفسير" كمصطلح مركزي في البحث.

القسم الثالث: التفسير لغة واصطلاحًا: تم فيه تفصيل معنى التفسير في اللغة، وبيان اشتقاقاته ودلالاته، ثم تعريف التفسير اصطلاحًا عند علماء التفسير.

القسم الرابع: تعريف "قواعد التفسير" كعلم مُستقل: تم فيه تعريف "قواعد التفسير" باعتبارها لقبًا لعلم مُعيّن له أصوله وقواعده ومناهجه، وبيان تميزه عن غيره من العلوم.

القسم الخامس: أنواع قواعد التفسير: تم فيه استعراض أنواع قواعد التفسير وتقسيماتها المختلفة، مع ذكر أمثلة لكل نوع، وتوضيح العلاقة بين هذه الأنواع.

القسم السادس: الفرق بين قواعد التفسير والعلوم الأخرى: تم فيه بيان الحدود الفاصلة بين قواعد التفسير والعلوم الأخرى ذات الصلة، كأصول الفقه، وعلوم اللغة العربية، وعلوم القرآن، وذلك لرفع اللبس والغموض وتحديد مجال كل علم.

وفي الفصل الثالث، تم تناول وظيفة قواعد التفسير، وبيان دورها وأثرها في فهم النص القرآني واستنباط معانيه وأحكامه.

٢. مفهوم قواعد التفسير

٢. ١. تعريف القواعد

٢. ١. ١. القواعد في اللغة

(القواعد) على وزن (فَوَاعِل)، جمع مفرده (قاعدة) على وزن (فَاعِلَة)، وبالنظر إلى ما ذكره بعض علماء اللغة في المعنى اللغوي للقاعدة، يتضح أن القاعدة في اللغة، تطلق على عدة معان، أهمها:

١- **القاعدة من النخل:** وهي النخل التي تنالها اليد (الجوهري ١٩٩٧م، ج٢/٢٥٥، مادة (قعد))، أو هي النخلة التي حملت سنة ولم تحمل سنة (ابن منظور، ١٣٠٠هـ، ١٢٨/٣، مادة (قعد)).

٢- **قواعد الهودج:** قال ابن منظور: ((قواعد الهَوْدَج خشبات أَربع معترضة في أَسفله تُرَكَّبُ عِيدانُ الهَوْدَج فيها)) (ابن منظور، ١٣٠٠هـ: ج ١٢٨/٣، مادة (قعد)).

٣- **قواعد البيت:** وهي أساطين البناء وقوائمه التي يعتمد عليها (ابن فارس، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٨م، ج١٠٨/٥، مادة (قعد)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقواعد مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ

مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة البقرة: الآية ١٢٧)، وقوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقواعد فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة النحل: الآية ٢٦).

٤- **القاعدة من النساء**: وهي التي قعدت عن الزواج وعن الحيض وعن الولد، والجمع قواعد (الزبيدي: ٢٠٠٧م: ١٠٨/٥) قال تعالى: ﴿وَالْقواعد مِنَ النِّسَاءِ اللاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور: الآية ٦٠).

٥- **قواعد السحاب**: وهي: «أُصوله المعترضة في آفاق السماء شبهت بقواعد البناء» (ابن منظور، ١٣٠٠هـ، ١٢٨/٣، مادة (قعد)).

ويرى بعض الباحثين: إن جميع ما ذكر من المعاني اللغوية للقاعدة ترجع إلى معنى واحد وهو الأساس، فقواعد كل شيء أسسه وأصوله التي ينبني عليها، سواء كان ذلك الشيء حسياً كما في الأمثلة السابقة، أو معنوياً كما تقول مثلاً: قواعد الإسلام، أو قواعد العلم (الروكي، ١٩٩٤م: ٣٨).

٢. ١. ٢. القواعد في الاصطلاح

ذكر العلماء في تعريف القاعدة عدة تعاريف، منها:

١- هي: ((حكم كلي ينطبق على جزئياته لتعرف أحكامها منه)) (التفتازاني، ١٩٨٩م: ١/ ٢٠).

٢- أو هي: ((قضية كلّية منطبقة على جميع جزئياته)) (الجرجاني، ١٩٧٨م: ١٩٥).

٣- أو هي: ((قضية كلية من حيث اشتمالها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها، وتسمّى فروعاً، واستخراجها منها تفريعاً، كقولنا: كل إجماع على حق)) (الكفوي، ١٩٩٣م: ٧٢٨).

٤- أو هي: ((حكم أغلبي ينطبق على معظم جزئياته)) (الزرقاء، ٢٠١٦م: ج ٢/ ٩٤٦).

والذي يبدو أن هذه التعاريف متقاربة، فالمعنى في جميع هذه الاستعمالات واحد وأن تغايرت الالفاظ، والقاعدة بهذا المدلول المذكور تشمل: ((كل ما يطلق عليه قاعدة في العلوم كافة، كالقاعدة الأصولية: (الأمر يقتضي الوجوب)، والقاعدة النحوية: (الفاعل مرفوع)، والقاعدة الفقهية: (لا ضرر ولا ضرار)، والقاعدة الترجيحية: «القول بالتأسيس مقدم على القول بالتأكيد)، وغيرها من القواعد» (الحربي، ٢٠٠٨م: ج ٣٢/١).

والخلاف بين من يرى أن القاعدة حكم كلي أو حكم أغلبي شكلي؛ لأن كلا الاتجاهين يذهبان: إلى أن القاعدة لها مستثنيات، إلا منهم من يرى بأن هذه المستثنيات لا تدخل في القاعدة أصلاً، ومنهم من يرى بأنها داخلة فيها إلا أنها خرجت بدليل (الزرقاء، ٢٠١٦م: ج ٢/ ٩٤٦).

٢. ٢. تعريف التفسير

٢. ٢. ١. التفسير في اللغة

من خلال تتبع استعمالات كلمة (التفسير) يتضح أنها تدل على معنى (الكشف والبيان)، سواء أكان ذلك في المعنى أو الموجودات الحسية فيقال: فسَّر الكلام، أي: أبان معناه وأظهره، كما يقال: فَسَرَ عن ذراعه، أي: كشف عنها، قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): «الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه، من ذلك الفَسرُ، يقال: فَسَرت الشيء وفسَّره» (ابن فارس: ج ٤/٥٠٤، مادة (قعد)).

وقد اختلف علماء اللغة في اشتقاقه على أقوال، أهمها الآتي:

١- أنه مأخوذ من (التّفسِرة)، وقد اختاره الزركشي (ت٧٩٤هـ) فقال: ((نَظَرُ الطبيب في بول المريض لمعرفة علته، فكذلك المفسر ينظر في الآية فيستخرج حكماها المفسر ينظر في الآية فيستخرج حكماها ومعناها))، (الزركشي، ١٩٥٧م: ج ٢/ ١٤٧)، وقد أختاره صديق حسن خان (ت ١٣٠٧هـ) أيضاً (أبو الطيب، ١٩٩٢م: ج ١/ ٢٤).

والحق أن نظر الطبيب هنا مأخوذ من (الفَسر)، قال ابن فارس: «وأما اشتقاقه فمن الفسر» ثم ساق بسنده إلى الخليل، فقال: «الفسر: البيان، واشتقاقه من فَسر الطبيب للماء: إذا نظر إليه، ويقال لذلك التفسرة أيضاً» (ابن فارس، ١٩٦٤م: ٣١٤، والفيروز آبادي: ١١٠، والزبيدي: ٧/ ٣٤٩، مادة (فسر)

٢- أنه مأخوذ من (الفَسر)، وهو الكشف والبيان لما خفي وغطّي، قال ابن منظور: «فسَر الشّيء يفسِره بالكسر، ويفسُرُه بالضم فسراً وفسّره أبانه، والتفسير مثله») (ابن منظور: ج ٣/ ٦٣٢، مادة (فسر))، وهو اختيار العلامة السيوطي (ت ٩١١هـ) (السيوطي، ١٩٨٥م: ج ٤/١٦٧).

٣- أنه «مأخوذ من قول العرب: (فسرت الفرس)، فسّرته، أي: أجريته وأعديته إذا كان به حُصر ليستطلق بطنه، وكأن المفسر —على هذا المعنى —يجري فرس فكره في ميادين المعاني ليستخرج معنى الآية ويحل عقد إشكالها» (الأزهري، ١٩٧٨م: ج١٢/ ٤٠٧، مادة (فسر))، قال الألوسي (ت١٢٧٠هـ): ((ولعله يرجع لمعنى الكشف كما لا يخفى، بل كل تصاريف حروفه لا تخلو عن ذلك كما هو ظاهر لمن أمعن النظر)) (الألوسي، ١٤١٥هـ: ج١/٤-٥).

٤- أنه مقلوب من (سَفَرَ)، و«معناه الكشف أيضاً، يقال: سَفَرَتِ المرأة سُفوراً، إذا ألقت خمارها عن وجهها، وهي سافرة، وأسفر الصبح أضاء» (الاصفهاني، ١٩٨٧م، ٦٣٢، مادة (فسر)، وابن منظور: ج٣/ ٦٣٢، مادة (فسر))، ((وإنما بنوه على التّفعيل للتكثير كقوله تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ (سورة يوسف: الآية ٢٣)، فكأنه يتبع سورة بعد سورة وآية بعد آية)) (الزركشي، ١٩٥٧م: ج ٢/ ١٤٧).

٥- أنه مأخوذ من (التفسير)، قال الزبيدي (ت١١٤٥هـ): ((التفسّر: الاستفسار، واستفسرته كذا، سألته أن يفسّره لي)) (الزبيدي: ٢٠٠٧م: ج٣٤٦/٧).

هذه أهم الأقوال التي ذكرت في أصل كلمة (التفسير)، وجميع هذه المعاني تدور على معنى الكشف والبيان، سواء أكان ذلك في المعنى أو الموجودات الخارجية، فيقال: فسّر الكلام، أي: أبان معناه وأظهره، كما يقال: فسر عن ذراعه، أي: كشف عنها (السبت، ٢٠٠٥م: ٢٥).

٢. ٢. ٢. التفسير في الاصطلاح

إن لفظة التفسير لم ترد في الاستخدام القرآني إلا في موطن واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تفسيرا﴾ سورة الفرقان: الآية ٣٣)، وقد انفرد ابن عباس2 إذ فسر اللفظ الوارد في النص القرآني (تفسيرا) بـ(التفصيل)، إذ نقل عنه أنه قال: (أَحْسَنَ تفسيرا) يراد به: (أحسن تفصيلاً) الطبري، (د. ت): ٤٤٨/١٧).

ويلاحظ عليه أنه ضيق دائرة التفسير؛ لأنه قصره على (التفصيل)، إذ إنه يشغل مساحة جزئية من مساحة البيان، أو الظهور (الرومي، ١٤٣٦هـ: ١٧٨)، لذا فسر أغلب المفسرين مفردة (تفسيرا) بـ (الكشف والبيان) (الألوسي، ١٤١٥هـ: ج٢٣/١٩).

وللعلماء في تعريف التفسير اصطلاحاً ثلاث اتجاهات:

١- أصحاب هذا الاتجاه جعلوا التفسير موسعاً شاملاً لعلوم القرآن كلها، فقد عرفه أبو حيان الاندلسي (ت٧٤٥هـ) بقوله: ((هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب، وتتمات لذلك)) (أبو حيان، ١٤٢٠هـ: ج٢٦/١).

٢- أصحاب هذا الاتجاه قصروا التفسير على الدلالة الموضوعية للألفاظ، فقد عرفه العلامة الزركشي (ت ٧٩٤هـ) بقوله: ((هو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه، وبيان معانيه واستخراج أحكامه

وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف والبيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ)) (الزركشي، ١٩٤٧م: ج ٢/ ١٤٨).

٣– أصحاب هذا الاتجاه ذهبوا الى ان التفسير (كشف) عن مراد الله، فقد عرفه العلامة الزرقاني بقوله: ((علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية المراد عن اللفظ المشكل)) (الزرقاني٢٠١٤م: ٣/٢).

وجميع هذه الاتجاهات تلتقي حول نقطة واحدة، وهي إن التفسير هو شرح لمعاني القرآن وبيان ألفاظه بأسلوب يفهمه المتلقي.

٢. ٣. تعريف (قواعد التفسير) باعتباره لقباً لعلم معيّن

إن ضبط الكلام في مصطلح قواعد التفسير يعدّ أمراً عسيراً؛ وذلك لأسباب ذكرها بعض الباحثين، حيث ذكر الدكتور: مصطفى فوضيل في مقال له بعنوان (نظرات في مصطلح قواعد التفسير): «الكلام في هذا الموضوع عسير من وجوه:

١– كون العلم الذي ينتمي إليه ما يزال في طور التأسيس.

٢– اضطراب المصطلح حتى على مستوى عنوان العلم، فهل هي (قواعد التفسير)؟ أو (أصول التفسير)؟ أو (علم التفسير)؟ أو علوم القرآن)؟ أو غيرها.

٣– قلة التأليف في هذا المجال بغض النظر عن قيمة هذا القليل.

توزّع هذه القواعد بين بطون كتب التفسير وعلوم القرآن وأصول الفقه وسائر كتب التراث الإسلامي» (د. مصطفى فوضيل (معاصر)، mtafsir.net/threads/ نظرات–في–مصطلح–قواعد–التفسير–للدكتور–مصفى–فوضيل.١٤٥٨٥).

فمن خلال ما ذكره الدكتور: مصطفى فوضيل، يتضح لنا صعوبة إيجاد تعريف دقيق لهذا الفن، ومع ذلك حاول بعض المعاصرين ضبط تعريف له، فمنهم من قرّب ومنهم من بعّد، فقد عرفه الدكتور: مصطفى فوضيل، بأنه: " ما يستند إليه من الأدوات العلمية والمنهجية في تناول النّص القرآني، ويتوصل بها إلى بيان معانيه واستخلاص فوائده" (د. مصطفى فوضيل (معاصر)، mtafsir.net/threads/ نظرات–في–مصطلح–قواعد–التفسير–للدكتور–مصفى–فوضيل.١٤٥٨٥).

فقد أدخل في التعريف جميع الأدوات العلمية التي يعتمد عليها في التعامل مع النص القرآني، وهو معنى واسع جداً يشتمل على علوم عدة (محمد شوقي، ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م:٦١).

وعرفه الدكتور: خالد بن عثمان السبت بقوله: «الأحكام الكلية التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم ومعرفة كيفية الاستفادة منها» (السبت، ٢٠٠٥م: ٣٠).

ثم شرح هذا التعريف، فقال: "

- (الأحكام الكلية)، هو الأمر الكلي الذي ينطبق على جميع جزئياته.
- (التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم)، أي: بالقوة، بمعنى أنها قابلة لذلك، ومعدّة له، وإن لم يستعملها أحد لهذا الغرض، وهذا القيد يخرج به القواعد التي لا يتوصل بها إلى الاستنباط من القرآن كبعض قواعد الأصول واللغة التي لا تمت لموضوعنا، وكقواعد المنطق والهندسة مثلاً.

(ومعرفة كيفية الاستفادة منها) يدخل القواعد الترجيحية، وهذا القيد يذكر في تعريف علم أصول الفقه ليدخل به باب (التعارض والترجيح)" (السبت، ٢٠٠٥م: ٣٠).

فهذا التعريف قرّب معنى قواعد التفسير تقريباً جيداً، فبين أنها كليات عامة يعتمد عليها في استنباط معاني القرآن الكريم (محمد شوقي، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م:٦١).

وعند التأمل في التعريفين نلاحظ أنه لا يوجد فرق كبير بينهما؛ إذ إن كل واحد منهما أدخل كل القواعد التي يتعامل بها مع النّص القرآني.

وهناك تعريفات أخرى قد تناولت (قواعد التفسير) ولم تخرج عن أساس ما ذكر إلا في تسمية تلك القواعد؛ فمنهم من اعتبرها ضوابط، (الحدوشي، ٢٠٠٧م: ٦٤)، ومنهم من اعتبرها أموراً، (الطيار، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م: ٨٧)، ومنهم من اعتبرها قوانين، (الاصفهاني، ١٣٩٢ق: ٢١)، وهكذا...

بيد إن من أطلق على قواعد التفسير لفظ (قوانين) أراد بأنها: ((قوانين كلية تطبق على مصاديق وجزئيات الآيات القرآنية، وعن طريقها يعرف تفسير القرآن، وأن علاقتها بالتفسير كعلاقة علم المنطق بالفكر، فهي تمنع الإبهام الذي قد يحصل))، (الاصفهاني، ١٣٩٢ق: ٢٢).

٢. ٤. موضوع قواعد التفسير

لا شك أن موضوع هذا العلم هو القرآن الكريم، وبتعبير أدق: تفسيره، أي من حيث دلالته على مراد الله عز وجل، (العك، ١٩٩٨م: ٤٧-٤٨، والاصفهاني، ١٣٩٢ق:٢١١).

٢. ٤. أنواع القواعد في التفسير

يمكن أن تنوع القواعد بالنظر إلى ناحيتين:

٢. ٥. ١. شمولية القاعدة للأبواب المتعددة.

٢. ٥. ٢. ما تحظى به القاعدة من وفاق أو خلاف.

فالقواعد بالنظر الأول على نوعين:

١- قواعد تدخل في أبواب مختلفة تقل أو تكثر لكنها لا تقتصر على باب واحد ومنها ما يتعلق بعامة الأبواب أو كلها.

٢– قواعد تختص بباب واحد وهذه أيضا تتفاوت فمنها ما يضم جزئيات كثيرة جدا، ثم إن نظرنا إلى القواعد بالنظر الثاني وهو الملحوظ فيه جانب الوفاق والخلاف نجد أنها على قسمين كذلك:

١–القواعد التي حصل الوفاق عليها، أو وقع فيها شيء من الخلاف لكنه ضعيف وهي التي يعبر عنها غالبا بجمل خبرية وبصيغة الجزم كقولنا: التأسيس مقدم على التوكيد، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٢–القواعد التي اشتهر فيها الخلاف وقوي وهي التي يعبر عنها غالبا بصيغ الاستفهام كقولنا: هل الأمر يقتضي التكرار؟ أو قولنا: هل الزيادة على النص نسخ؟

ومنها الذي يجمع قدرا قليلا من الجزئيات، مثل: العبرة بعموم اللفظ لا السبب. هذه تختص بباب واحد هو أسباب النزول. (السبت، ٢٠٠٥: ١٥٠)

٢. ٦. الفرق بين قواعد التفسير والعلوم الأخرى

ثمة فروق ما بين علم قواعد التفسير وبعض العلوم الأخرى، منها:

٢. ٦. ١. الفرق بين قواعد التفسير واصول التفسير

أصول التفسير: تعني أدلة التفسير التي يبنى عليها التفسير، أما القواعد فهي تطلق على قواعد أصول التفسير، فهي –قواعد التفسير–قواعد فرعية بلحاظ الأصل المندرجة تحته، وفي الوقت نفسه هي قواعد كلية بلحاظ ما يندرج تحتها. وخلاصة القول: قواعد أصول التفسير هي مجموع القواعد المندرجة تحت كل أصل من أصول التفسير، فمجموعها يكوّن (قواعد التفسير).

٢. ٦. ٢. الفرق بين قواعد التفسير وعلوم القرآن:

النسبة بين قواعد التفسير وبين علوم القرآن هي نسبة الجزء إلى الكل، وقد تطلق قواعد التفسير على جملة من مسائل علوم القرآن، وهذا إما ان يكون من باب إطلاق الجزء على الكل، وإما لكون علوم القرآن والكتب المصنفة في ذلك تشتمل على قواعد كثيرة من قواعد التفسير منثورة في ابوابه المختلفة.

وخلاصة القول: إن علوم القرآن هي عبارة عن جميع المسائل التي تتعلق بالقرآن من وجوه شتى، أما قواعد التفسير فالمراد بها تلك المسائل المخصوصة –القواعد–التي سبق في التعريف، وفي الحقيقة تكون نسبة القواعد التفسيرية إلى علم التفسير من قبيل نسبة القواعد الأصولية إلى علم الفقه، فكما أنّ القواعد الأصولية تقع نتيجتها في طريق استنباط الأحكام الفرعية الشرعية، فكذلك القاعدة التفسيرية تقع نتيجتها في طريق استنباط مراد الله واستظهاره من الآيات القرآنية (السبت، ٢٠٠٥م: ٣٣).

٢. ٦. ٣. الفرق بين قواعد التفسير وبين قواعد علمي اللغة والأصول

يتبن الفرق بين هذه العلوم من خلال التعرف على الموضوعات التي يبحث عنها كل واحد من هذه العلوم.

فقواعد التفسير تبحث في كلام الله تعالى من حيث دلالته على مراد الله عز وجل.

أما قواعد اللغة فتبحث في لغة العرب من حيث افرادها وتراكيبها وحقيقتها ومجازها وما شاكل ذلك.

وأما قواعد الأصول فتبحث في أدلة الفقه إضافة إلى كيفية الاستفادة منها، وكذلك حال المستفيد أي المجتهد.

وبهذا يظهر التباين الواقع بين موضوعات العلوم الثلاثة مع قدر من التداخل المعرفي بينها لا ينكر، إذ تجد ضمن قواعد التفسير والأصول قدراً من المواد المستمدة من اللغة واصولها. كما نجد قدراً من قواعد الأصول تدخل في قواعد التفسير والعكس صحيح أيضاً، ومعلوم أن علم الأصول وعلم قواعد التفسير هي علوم مركبة من فنون عدة، فعلم الأصول مستمد من النصوص الشرعية، وعلم الكلام، واللغة.

وعند النظر في مثل هذه الموضوعات نجد أن الذي له تعلق بقواعد التفسير بعضها لا كلها، وأهم ما يدخل منها في قواعد التفسير هو الكلام على المصدر الأول وهو القرآن الكريم، مع وجود قدر من التداخل المعرفي غير القليل بين القواعد في التفسير وبين ما يذكر في علم الأصول من عوارض الالفاظ كالعموم والخصوص، والاطلاق والتقييد، والإجمال والبيان' (السبت، ٢٠٠٥م: ٣٨).

٣. وظيفة قواعد التفسير

تتبين من خلال وظيفة قواعد التفسير الآتي: –

٣. ١. فوائد قواعد التفسير

لما تشعبت العلوم وتناثرت تفاصيلها وجزئياتها، إذ أصبح من الصعوبة الإحاطة بجزئيات علم واحد من العلوم فضلاً عن الإحاطة بجزئيات العلوم المختلفة، عمد العلماء إلى تتبع وإبراز الأصول القواعد الكلية التي ترجع إليها تلك الجزئيات تيسيراً للعلم، بل تعين على حفظ ما تناثر من جزئياته، بغية تربية ملكة الفهم وضبطه بضوابط تمنعه عن الخطأ.

إذن هذه هي التي تجعل معرفة القواعد عموما وقواعد التفسير خصوصا أمرا في غاية الأهمية.

يقول العلامة الزركشي العلامة: " أما بعد: فإن ضبط الأمور المنتشرة المتعددة في القوانين المتحدة. هو أوعى لحفظها، وأدعي لضبطها، وهي إحدى حكم العدد التي وضع لأجلها، والحكيم إذا أراد التعليم لابد أن يجمع بين بيانين: إجمالي تتشوق إليه النفس، وتفصيلي تسكن إليه"، (الزركشي١٩٨٠م:١/٦٥-٦٦).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أهميتها تعرف بمعرفة أهمية موضوعها وهو القرآن الكريم؛ إذ هو أصل العلوم وفيه خير العاجل والأجل، فإذا فهمه العبد فهما صحيحا حاز علما عظيما لا يدانيه علم البتة.

وفي الرواية أن النبي ذكر الفتنة يوماً فقيل له: (يا رسول الله كيف الخلاص منها؟" فقال: "بكتاب الله، فيه نبأ من كان قبلكم، ونبأ من كان بعدكم، وحكم ما كان بينكم، وهو الفصل وليس بالهزل، ما تركه جبار إلاّ قصم الله ظهره، ومن طلب الهداية بغير القرآن ضل، وهو الحبل المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذي لا تلبس على الألسن، ولا يخلق من كثرة القراءة، ولا تشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه) (الترمذي (رقم الحديث: ٢٩٠٦)..

لذا من عرف قواعد التفسير حصلت له فوائد، منها:

١. تنفتح له معاني قرآنية كثيرة جداً.

٢. تصير بيده آلة يتمكن بها من الاستنباط والفهم.

٣. يصبح عنده ملكة تجعله يحسن اختيار الأقوال المختلفة، حتى ما كان مختلفًا اختلاف تنوع.

٤. ضبط التفسير بقواعده الصحيحة، (السبت، ٢٠٠٥م: ٣٨).

٣. ٢. الغاية من قواعد التفسير

وهي: فهم معاني القرآن، (السبت، ٢٠٠٥: ٣٩).

٣. ٣. شرف قواعد التفسير

يمكن أن تلخص هذه القضية في ثلاثة أوجه:

١. من جهة الموضوع، إذ موضوعه كلام الله تعالى الذي هو أحل الكتب وأعظمها وأشرفها، والعلماء يقولون: شرف العلم بشرف المعلوم.

٢. من جهة مقصوده وغايته وهي الاعتصام بحبله للوصول إلى السعادتين.

٣. من جهة عظم الحاجة إليه إذ إن كل فلاح ديني أو دنيوي مفتقر إلى العلوم الشرعية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى إذ هو أصلها، (السبت، ٢٠٠٥م: ٣٩).

النتيجة

١- إن الفهم التام لخطاب الشرع وضمائمه لا يتم إلا بفهم مصطلحاته، ومنه يتحصل الامتثال في أسمى صوره لخطاب الشرع من دون تكلف ولا اضطراب، وقواعد التفسير بأمس الحاجة إلى هذا النهج.

٢- يرى بعض الباحثين: إن جميع ما ذكر من المعاني اللغوية للقاعدة ترجع إلى معنى واحد وهو الأساس، فقواعد كل شيء أسسه وأصوله التي ينبني عليها، سواء كان ذلك الشيء حسياً كما في الأمثلة السابقة، أو معنوياً كما تقول مثلاً: قواعد الإسلام، أو قواعد العلم.

٣- هناك تعريفات أخرى قد تناولت (قواعد التفسير) ولم تخرج عن أساس ما ذكر إلا في تسمية تلك القواعد؛ فمنهم من اعتبرها ضوابط، ومنهم من اعتبرها أموراً، ومنهم من اعتبرها قوانين، وهكذا... بيد إن من أطلق على قواعد التفسير لفظ (قوانين) أراد بأنها: قوانين كلية تطبق على مصاديق وجزئيات الآيات القرآنية، وعن طريقها يعرف تفسير القرآن، وأن علاقتها بالتفسير كعلاقة علم المنطق بالفكر، فهي تمنع الإبهام الذي قد يحصل.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (١٤١٥)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المشهور بالراغب الاصفهاني (ب.ت.)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد خليل عيناني، دار المعرفة، بيروت.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (١٣٠٠)، **لسان العرب**، تحقيق: عامر أحمد حيدر، وراجعه: عبد المنعم جليل إبراهيم، دار صادر، بيروت – لبنان.
- الاصفهاني، محمد علي (١٣٩٢)، **منطق تفسير القرآن**، ترجمة: احمد الازرقي وهاشم بو خمسين، مركز المصطفى للترجمة والنشر.
- الأزهري، محمد بن أحمد (ب.ت.)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبد الحليم البردوني، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الاندلسي ،أبو حيان محمد بن يوسف بن علي (١٤٢٠)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صديقي محمد جميل، دار الفكر –بيروت.

- التفتازاني، مسعود بن عمر (ب.ت.)، **شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح**، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد المعروف بالسيد الشريف (١٩٧٨)، **التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد (ب.ت.)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الملايين، بيروت.
- الحدوشي، أبو الفضل عمر بن مسعود. (٢٠٠٧)، **نشر العبير في منظومة قواعد التفسير**، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الحربي، حسين بن علي بن حسين(٢٠٠٨)، **قواعد الترجيح عند المفسرين –دراسة نظرية تطبيقية**، دار القاسم، السعودية.
- الحسيني البخاري ،أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله (١٩٩٢)، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، قدم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الانصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.
- الروكي، محمد. (١٩٩٤)، **نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- الرومي، أد. فهد بن عبد الرحمن (١٤٣٦)، **الخلاصة في علوم القرآن وأصول التفسير**، مركز المناهج للأشراف والتدريب التربوي:الرياض.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني.(٢٠٠٧)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الكتب العلمية، لبنان.
- الزرقاء، الشيخ مصطفى (د.ت)، **المدخل الفقهي العام**، دار الفكر، بيروت.
- الزرقاني، الشيخ محمد عبد العظيم (د.ت)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مطبعة عيسى الحلبي– دمشق.
- الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر (١٩٥٧)، **البرهان في علوم القرآن**، دار إحياء الكتب العربية –بيروت.

- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر (د.ت.)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المشهد الحسني، القاهرة.
- السبت، خالد بن عثمان (٢٠٠٥)، **قواعد التفسير —جمعاً ودراسة** –، دار بن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة.
- الطيار، د. مساعد بن سليمان (١٩٩٣)، **فصول في أصول التفسير**، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، الرياض –المملكة العربية السعودية.
- الطبري، محمد بن جرير (د.ت.)، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، مصطفى البابي الحلبي، مصر.
- الفيروز آبادي. (د.ت.) **القاموس المحيط**، تحقيق: محمد المصري، المكتبة الحسينية، مصر، ط٢.
- القزويني الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا (١٩٧٨)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر.
- _____ (١٩٦٤)، **الصاحبي في فقه اللُّغة وسنن العرب في كلامها**، تحقيق: د. مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت.
- الكفوي، أبو البقاء (١٩٩٣) **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: محمد المصري وعدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- شوقي، محمد(٢٠٠٩)، قواعد التفسير بين التنظير والتطبيق عند الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي– القواعد الحسان وتيسير الكريم الرحمن نموذجاً، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية —جامعة الحاج لخضر —باتنه